

دعوات فك الارتباط

للشيخ خبيب السوداني
- حفظه الله -



مقتبس من كتاب
شذرات من تاريخ القاعد - الطبعة الثانية -
يصدر قريباً عن مؤسسة الملاحم

اليقين

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وتفككه إلى دويلات -إثر هزيمته في أفغانستان- برزت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى وحيدة، وفرضت على العالم مشروع نظامٍ عالميٍّ جديد صيغ ليعيد تشكيل المنطقة كلّها وفق متطلبات الهيمنة الأمريكية، والذي -حسب تعبير الشيخ أبو مصعب السوري- يعني باختصار: إخضاع الأمة للإرادة اليهودية الصليبية بزعامة أمريكا. وبناءً على ذلك النظام الجديد لن تسمح أمريكا لأي حكومة في العالم بالخروج عن نظامها. وما يهمنا نحن المسلمون؛ أن أمريكا لن تسمح بإقامة أي نظام إسلامي يحكم بالشريعة. فأمريكا هي زعيمة النظام الدولي الكافر الذي يقوم على أساس فصل الدين عن الدولة، وتعتبر أي دولة تُخالف هذا الأمر خارجة عن نظامها الدولي، وبذلك تكون عرضة لمعاقبته ومحاصرتها، وستعمل أمريكا بكل قوّتها لإسقاطها، والشواهد على ذلك ماثلة في أكثر من بلد.

لذلك كان الشيخ أسامة يعتقد أنه لن تقوم لهذا الدين قائمة، ولن ينعم المسلمون بدولة تحكم بالشريعة إلّا بزوال هذا النظام الصهيوني الذي تقوده أمريكا هُبل العصر. وعن هذا الأمر يقول الشيخ أسامة بن لادن: "فالبلاء الواقع على بلاد المسلمين له سببان رئيسيان، الأول: وجود هيمنة أمريكية عليها، والثاني: وجود حكام تخلّوا عن الشريعة متماهين مع هذه الهيمنة، يحققون مصالحها مقابل تحقيق بعضاً من مصالحهم. والسبيل أمامنا لإقامة الدين، ورفع ما وقع بالمسلمين من بلاء هو بإزالة الهيمنة الواقعة على البلاد والعباد التي تحول دون بقاء أي نظام يحكم فيها بشرع الله. والسبيل لإزالة هذه الهيمنة هو بمواصلة الاستنزاف المباشر للعدو الأمريكي حتى ينكسر ويضعف عن التدخل في شؤون العالم الإسلامي"^١ هـ.

وحتى يتحقق هذا الهدف كان الشيخ أسامة -كما ذكرنا من قبل- يريد أن تتوحد كافة جهود المجاهدين، وتتركز نشاطها وهدفها الجهادي على عدو واحد لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان، هو رأس الأفعى هبل العصر أمريكا.

وكانت أمريكا مدركة تمام الإدراك إلى خطورة ما كان يدعو إليه الشيخ أسامة على وجودها وعلى مصالحها المنتشرة في شتى أرجاء العالم. فإذا كان تنظيم القاعدة لوحده وبعدد قليل من أفراده قد مرغوا أنف أمريكا في التراب، وأثخنوا فيها جراحاً نازفاً حتى هذه اللحظة، وغيّروا -بفضل الله وحده- مجرى التاريخ بعدد قليلٍ من الضربات النوعية، فكيف يكون الحال إذا اقتنعت الجماعات الجهادية بدعوة الشيخ أسامة ووحدت كافة جهودها، وركزت نشاطها وهدفها على عدو واحد هو هبل العصر أمريكا.

وللأسف الشديد -كما مرّ علينا من قبل- لم تلتفت كثيرٌ من الحركات الجهادية إلى ما كان يدعو إليه الشيخ أسامة حتى جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأعلن حينها الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن حربه العالمية الصليبية على كلّ ما هو إسلامي باسم مكافحة الإرهاب. وحينها فقط سقط القناع، وانكشف حقد أمريكا الدفين على

الإسلام، وأدركت كثيرٌ من الجماعات الجهادية أن توجه الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- قد وضع المعركة في مسارها الصحيح، وذلك بفرض المواجهة بيننا وبين عدونا الحقيقي هبل العصر أمريكا. وبناءً على ذلك تمددت القاعدة شرقاً وغرباً، وانضم كمٌ مهم من الحركات الجهادية للقاعدة في العراق والشام والصومال ومغرب الإسلام، مروراً بمالي وشبه القارة الهندية.

وأدركت أمريكا فيما بعد أنها ارتكبت خطأً فادحاً بوضع الجميع في سلّة واحدة، وأدركت كذلك أن الانتصار النهائي في هذه الحرب هو في حرب الأفكار التي دعا إليها وزير الدفاع الأمريكي السابق رامسفيلد، وذلك بمواكبة الحرب العسكرية بجهد سياسي ثقافي لكسب القلوب والعقول في العالم الإسلامي، والقصد هو نزع الشرعية عن الإرهابيين كي يفقدوا مصداقياتهم بين الجماهير.

وكما ذكرنا سابقاً كان من جنود هذه الحرب الفكرية آلافاً من علماء السلاطين، وفقهاء البنتاجون، والكثير من الجهاديين المتراجعين، بجانب العشرات من مراكز البحوث والدراسات الصليبية التي عكفت سنوات عديدة على دراسة الجماعات والحركات الجهادية بصفة عامة، ودراسة تنظيم القاعدة بصفةٍ أخص حتى تصل في نهاية المطاف إلى توصيات وسياسات -تقدمها للحكومة الأمريكية- تعتقد أنها أنجع الطرق لمكافحة هذه الجماعات والقضاء عليها. والملاحظ أن كل هذه السياسات والتوصيات تخرج بأسماء ومسمّيات عديدة غير أنها في خاتمة المطاف تصبّ كلها في بث الفرقة والنزاع والشقاق بين صفوف هذه الأمة وتطليعتها المجاهدة. وبمعنى آخر محاولات فصل القاعدة وفك ارتباطها بحواضنها الشعبية من جهة، ومن جهة أخرى محاولات فك ارتباط القاعدة عن الجماعات الجهادية الأخرى.

وكانت وسائل الإعلام بتاريخ ١٨/١١/٢٠٠٦م قد تناقلت دراسة حديثة عن تنظيم القاعدة، قامت بها مؤسسة راند الأمريكية، وأشرفت عليها الباحثة أنجيل راباسا، توصي فيها المسؤولين وأصحاب القرار الأمريكي بضرورة توجيه الحرب ضد القاعدة انطلاقاً من عقيدتها، وليس مواجهتها عسكرياً فحسب. وتقضي التوصية التي رفعتها المؤسسة بهذا الخصوص بالعمل على زرع الخلافات بين تنظيم القاعدة والحركات الجهادية المحلية في مواطنها مشيرة أن عقيدة القاعدة تعاني من نقاط ضعف قابلة للاستغلال، تأسيساً على أن عقيدة القاعدة لا تتبناها جميع الحركات الإرهابية أو المتمردة في العالم، وبالتالي دعوة الولايات المتحدة إلى محاولة ضرب العلاقة بين المجموعات الجهادية المحلية والمجموعات العالمية عبر التركيز على الخلافات بينها^٢.

وبالرغم من أن هذه التوصيات التي يوصي بها باحثو مؤسسة راند وغيرها من مراكز البحوث الصليبية -كما ذكرنا من قبل- مكشوفة في دراساتهم وتوصياتهم في إطار حملتهم المسعورة على الإسلام باسم مكافحة الإرهاب، إلّا أننا وللأسف الشديد نشاهد الكثير من الجماعات الجهادية القطرية لا تفتن إلى مكر هؤلاء الصليبيين، وبالتالي تُسارع في تنفيذ هذه السياسات والتوصيات، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وأصدق دليل على ما نقول هو ما حدث في العراق وبلاد الشام من مكرٍ تزول منه الجبال، كانت نتيجته في خاتمة المطاف فشل التجربة الجهادية في بلاد الرافدين بعد أن بلغت ما بلغت من علو شأنها، ونكايتها العظيمة في أمريكا.

وذات الأمر تكرر في بلاد الشام. فخشيةً من أن تصنّف الجماعات الجهادية الشامية القطرية في سلّة واحدة مع تنظيم القاعدة مارست هذه الجماعات ضغوطاً شديدة على جبهة النصرة، وحملتّها على ترك توجيهها العالمي ونقض بيعتها للقاعدة بحجّة فك الارتباط، ليس هذا فحسب بل أصبح توجّه الجبهة الجديد - بعد تغيير اسمها لهيئة تحرير الشام، ومشاركتها بفعالية في مكافحة التمرد (الإرهاب) - مثالياً حسب ما جاء في دراسة عن هيئة تحرير الشام قام بها الباحثان الصليبيان جيرون دريفون وبارتريك هاني من معهد الجامعة الأوروبية **European University Institute**، وراهنّت الدراسة كذلك على أن نجاح توجّه هيئة تحرير الشام الجديد سيكون نموذجاً تقتدي به أفرع القاعدة الأخرى. وجاء في تلك الدراسة ما يلي:

"من الواضح أن سيطرة هيئة تحرير الشام لا تعمل كحاضنة للجهاد العالمي، بل على العكس من ذلك وبطريقة أكثر كفاءة وشمولية من الطائرات الأمريكية بدون طيار تشارك الجماعة في استراتيجية فعّالة لمكافحة التمرد. إنّ مشروع الهيمنة الذي تدعمه قد حرم القاعدة لأول مرّة منذ تسع سنوات من الصراع من أي وجود مرئي على الأراضي السورية ...

للهولة الأولى، فإنّ السيناريو مثالي: تتبنّى منظمة راديكالية إطاراً مرجعياً ثورياً سائداً إلى حدّ ما، وتحيّد آخر بقايا القاعدة و...، وتهمّش العناصر الأكثر تشدداً داخل صفوفها، وتسعى إلى التوافق مع الغرب مع إبداء الاهتمام في حوارٍ ومفاوضاتٍ حول التطبيع مع الآخرين. الرهانات تفوق كثيراً قضية إدلب: إنّ قرار أي فرع من فروع القاعدة بالانفصال عن القاعدة سيتحدد بشكل حاسم من خلال نجاح أو فشل التجربة السورية"^٣ ١هـ.

ومن المفارقات العجيبة أننا نشاهد أمريكا - رغم قدراتها وإمكانياتها العسكرية والاقتصادية والاستخباراتية المهيولة - لا تدخل حرباً إلا إذا حرّبت معها كل حلفائها. وفي المقابل - مع أن الله سبحانه وتعالى يدعونا لمقاتلة المشركين كافّة كما يقاتلوننا كافّة، ويدعونا سبحانه إلى الوحدة والاعتصام، ويحذرننا من الفرقة والانقسام - لم تجد دعوة الشيخ أسامة رحمه الله - رغم قوة حجّيتها بتوحيد الجهود لمواجهة أمريكا - آذاناً صاغية ولا قلوباً واعية، بل والأدهى والأمر من ذلك أن صار بعض المحسوبين على الجهاد يدعون أفرع القاعدة إلى فك ارتباطها بالقاعدة، وشرّ البليّة ما يُضحك. وكأنّ دعاة فك الارتباط لا يعلمون حقيقة الصراع الدائر بين حلف الكفر بقيادة أمريكا، وحلف الإسلام وطليعته المجاهدة ومن ضمنها بل على رأسها قاعدة الجهاد. كأنهم لا يعلمون أن القضية هي قضية عقيدة ودين جلاها الله سبحانه وتعالى لنا في كثير من الآيات، لا كما يصورها بوش ومراكز الدراسات بأنها حرب على الإرهاب. وكأنهم لم يروا النماذج التي نكثت عهودها مع القاعدة، وخرجت عن مشروع إسقاط هيمنة هبل العصر أمريكا، وراحت تحاول جاهدة تحييدها من الصراع، لكنّ هذه المحاولات باءت بالفشل، بل تسببت أمريكا في إضعافهم ودعم كل مناوئ لهم حتى أسقطت مشروعهم، وأبرز هؤلاء جماعة الدولة وجبهة النصرة.

أو ما علم دعاة فك الارتباط أن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه.

^(٣) ولمن يريد الوقوف على المزيد من مكر أعداء الله في هذا الباب، عليه بالرجوع إلى ترجمة الدراسة وهي بعنوان "كيف أضحي الجهاد العالمي محلياً مرةً أخرى؟ وإلى أين يقود ذلك؟" للباحثين الصليبيين جيرون دريفون وبارتريك هاني من المعهد الأوروبي للدراسات (European University Institute).

جاء في كتب السيرة أن رسول الله ﷺ - بعد وفاة عمّه أبي طالب - عرض نفسه على قبيلة شيبان بن ثعلبة، وكان فيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ قال له مفروق: إنا لنزيد على ألف ولن نُغلب ألفاً من قلة. فقال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ قال: علينا الجهد ولكل قوم جد. قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يدينا مرة ويديل علينا، لعلك أخو قرش. فقال أبو بكر: أوقد بلغكم أنه رسول الله؟ فما هو ذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فقال: "أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وإلى أن تؤمنوا، وتنصروني، فإن قريشاً قد ظهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد". فقال مفروق وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْمِنُ بِمَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ شَيْئًا مِّنَ الذُّلِّ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. فقال مفروق: وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك. وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال هانئ: "قد سمعت مقاتلتك يا أخا قريش، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر". وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: "قد سمعت مقاتلتك يا أخا قريش، والجواب هو جواب هانئ ابن قبيصة في ترك ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، وإنما منزلنا بين صربي الإمامة والسماوة"، فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصريان؟ فقال أنهار كسرى ومياه العرب. فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول. وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول. وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً. وإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعوننا إليه هو مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا. فقال رسول الله ﷺ ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه.

ورحم الله الشيخ الشهيد سيّد قطب فقد وضع النقاط على الحروف في تفسير الآية ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ فقال رحمه الله:

"قاتلوهم جميعاً بلا استثناء أحد منهم ولا جماعة، فهم يقاتلونكم جميعاً لا يستثنون منكم أحداً، ولا يبقون منكم على جماعة. والمعركة في حقيقتها إنما هي معركة بين الشرك والتوحيد، وبين الكفر والإيمان، وبين الهدى

والضلال. معركة بين معسكرين متميزين لا يمكن أن يقوم بينهما سلام دائم، ولا أن يتم بينهما اتفاق كامل، لأن الخلاف بينهما ليس عرضياً ولا جزئياً، ليس خلافاً على مصالح يمكن التوفيق بينها، ولا على حدود يمكن أن يعاد تخطيطها. وإن الأمة المسلمة لتُخدع عن حقيقة المعركة بينها وبين المشركين -وثنيين وأهل كتاب- إذا هي فهمت أو أفهمت أنها معركة اقتصادية أو معركة قومية، أو معركة وطنية، أو معركة استراتيجية. كلا، إنها قبل كل شيء معركة العقيدة، والمنهج الذي ينبثق من هذه العقيدة، أي الدين "١.هـ

فما يضير دعاة فك الارتباط أن يأخذوا بنصيحة عتبة بن ربيعة لقريش قائلاً لهم:

"يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلّوا بين الرجل وما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب كُفّيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به".

دعوات فك الارتباط

مقتبس من كتاب
شذرات من تاريخ القاعد - الطبعة الثانية -
يصدر قريباً عن مؤسسة الملاحم

للشيخ خبيب السوداني
- حفظه الله -

الْيَقِينُ

اليقين مناصرون على
وسائل التواصل الاجتماعي